تماس

• ليلى أحمد*

حَلَمَة صدري الأيسر تؤلمني. جلدُها الرقيق على الأطراف يتمزّق. سرتُ في الغرفة، أدور حول نفسي، ثم ذهبتُ إلى حيث قناني العطور ومستحضرات التجميل. التقطتُ كريماً طبيّاً أشار عليَّ الطبيبُ به. فتحتُ غطاءه، فاندلقتْ عبر رأسه كثافةٌ بيضاء. دهنتُ به مكانَ الألم. شعرتُ ببعض البرودة، وما لبثتْ أن تسلّلت الطراوةُ الى لحمي.

الثدي الأيمن أيضاً يشكّني... كمن زَرَعَ تحت أطرافه عشراتِ الدبابيس. لم يتمزّق جلدُه بعد. أعرف أنّه نبوءةُ انفجار الحليب في صدري البكر. مسحتُه بنعومةٍ بقطنة مبلّلة بمحلول معقّم، ثم أمررتُ فوطةً مغموسةً بماء دافئ، وألقمتُ ثديي لفمه الجائع. في البدء دغدغني امتصاصُه، وما لبثتُ أن شعرتُ بقشعريرة.

لماذا لا تنتابني إثارةٌ جنسيّة، مع أنّ هذا الرضيع على تماسّ مباشر مع أعضائي الحميمة؟ هل إدراكي أنّ هذا المصّ آتٍ من رضيعي عَطَّلَ لديَّ كلّ قدراتي الغريزيّة؟ أم أنّ ثديي ميّت غريزيّاً؟

آهٍ.. ما ألذّ هذا التعاملَ العذبَ والرقيقَ والمسترخي. لا أَذْكر أنّ زوجي تعامل بهذه الرقّة مع أعضائي. كنتُ أعيش معه حرباً غيرَ معلنة، ساحتُها الشرسة هذا السريرُ الذي أكرهه. إنّه يذكّرني بعنفه، وإنْ لم يَقصد، بقسوةِ حركة أصابعه، وإنْ لم يَقصد، وبآليّة تعامله مع كل شيء: مع الدولاب المكسور، أو مع جهاز رديء. هذه الرقّة المفرطة في مصّ الرضيع لثديي جعلتني في حالة أمانٍ نفسيّ، إذ إنّني لا أتوقّع منه أن يؤذيني.

أشعر بخيوط الحليب تتسرّب من أوردةٍ صغيرةٍ ودقيقة في صدري المعبّأ به، ويتدفّق إلى فمه. عندما عصرتُ ثديي أوّلَ مرة لأستفزّه لدرّ الحليب، أتت القطراتُ شفّافةً تقترب من اللّون الأبيض؛ تذوّقتُها بفمي. كان حليبي دافئاً، وفيه القليلُ من السكر. ألقمتُ ثديي لفم رضيعي.

الرّقة الآن تذكّرني بعكسها.

كنتُ أتبرّع له همساً بمتطلباتي: «أَلَكَ أن تتخيّلَ سقوطَ ورقةٍ من زهرةٍ جوريّة يانعة؟ تسقط الورقة. ولكنْ قبل أن تصل إلى الأرض، أُنظرْ إليها؛ إنّها تلاعبُ الهواءَ، وتتقلّب فيه. كُنْ لي الهواء... إلمسْني مثلَه.»

بمجرّد أن يغمض عينيه ويغيب، تعود إليه غلاظتُه. أُوقظه: «حسناً.. خذ هذه الوردة.. تعالَ أقرِّبْها إلى شفتيكَ.. مرورٌ لطيف.. يَمَسُّ ولا يُمَسّ.. تحسَّسْ رقّتَها.. قبِّلْني هكذا، بهذه النعومة. أَشْعِرْني بها. وستكون النتائج مذهلة.» ولكنّه يَقْبض بشفتَيْه القاسيتَيْن على شفتيَّ، ويلوكهما.. وجعاً.

«إسمعْني.. أَوْقِظْ حواسَّكَ.. أذنيْكَ.. أَسْمِعني صوتَك همساً.. غازِلْني.. إسمعْ طاقةَ صوتي.. سأهمس لكَ بلغة لا تفهمها، لتتلذّذ ببحّة صوتي...» وحين يبدأ، أَسْمع صوتاً عالياً يشبه صرخاته في المطبخ. «تخيَّلْ أنّنا نسير تحت المطر، والسماءُ ملبّدةٌ بالغيوم، وسرعان ما تمطر، وينقر الماءُ على المظلاّت برقّة. إسْمعها.. كأنّها تغازلها. كُنْ لي مظلةً تُشْعِرُني بطراوة المطر، وتُشمِّمني رائحتها.. دون أن تبلّلَني..» لكنّه لوى رأسي بحركة عنيفةٍ واحدةٍ من يده. فتحتُ عينيَّ فَزَعاً، فرأيتُ شفتَيْه الغليظتَيْن آتيتين نحو عنقي. آآآآي..

«لا تمصّ رقبتي أرجوك. لا تعضّني. العقْني. امسحْ لسانَك، ومرِّرْ شفتَيْك. إنّ شفتيْك تَشْفطان لحمي بعنفٍ موجع..

آهٍ..

«عامِلْني بأطرافِ أطرافِ أصابعك. مرِّرها على ظهري، فصدري، فبطني. إنّي أتكهرب بهذه اللّذة. لا تُمسك صدري بعنف، لا تعصرْه بقوّة. آآآآي.. إنّي أصرخ من الألم لا من اللّذة كما تُوهِمُ نفسَك. إنّي أتألّم، وكلُّ جسدي في حال دفاع.

---

* – كاتبة كويتيّة من أصل إيرانيّ، تعيش في الإمارات العربيّة المتحدة.

«نعم.. أنا معكَ.. أُحِبّ العنفَ أحياناً.. عنف لذيذ يمنحني إحساساً بقوّتك، ورجولتك.. عنف محسوب يهيِّجني.. لا يَصْفع.. ولا يشدّ شعري، ولا يلوي عنقي وذراعي.»

الصغير يمصّ الحليب. أشعر بنشوة. إنّني في قمّة الكمال الإنسانيّ، أَدْفع هذا اللَّحم الصغير إلى الحياة. إنَّه خفيف وصغير. قبل أن أُلقمه ثديي، تحمَّمْنا سوياً. أَلصقتُه بعُرْيي.. وتحت الماء والصابون أصبحنا واحداً. فيما بعد، رششتُ جسده ببودرةِ أطفالٍ أُحبُّها.

«لا ترم بثقل جسدكَ عليّ. عظامُك ثقيلة، وجسدُك كبير. أَحِطني يا حبيبي بذراعيك. أَسندْ كوعيْك إلى السرير حول رأسي، حارسيْن لي. لا تحمِّلني ركبتيْك الثقيلتَيْن، أَسنِدْهما إلى السرير، ودعْ شهوةَ جسدك تصعد وتهبط فوقي.

«.. صُبَّ هذا العسلَ على نهديّ وبطني: اِلْعقْني، إنَّ ذلك يثيرني. تعال لأطرِّيَ جسدَك، سأضع لك من هذا الزيت العطريّ.. سأَسْكر برائحته.. وأَجْلس عاريةً فوقك، مستندةً إلى ركبتيّ على السرير. وأدلكك بزحلقة مؤخِّرتي وصدري عليك. سأُمْتعك.. اِطْلني بهذا الكريم المعطّر. دلِّكْني بأطرافِ أطرافِ أصابعك. صُبَّ حرارتكَ فيها. لا تعامِلْني بأصابعَ غليظَةٍ، تترك مساراتها على جسدي وأعانيها ليومين.. أنظر.. أنظر...»

يحرِّك الرضيعُ رجليْه في حضني، ويلاعب يده اليمنى في الهواء، بعد أن رضع.. وشبع. مطّ رأس حلمتي.. وسحبَها للخارج. أوجعني جداً. كتمتُ صرخة عذابي في قلبي.

تُشْبه صرخاتي المكتومة لأبيه!

الإمارات العربيَّة المتحدة

من قصص العدد القادم

- ميرا الكعبي: ابتسمْ للصورة
- معن محمد حمزة: أنا لست بأميرة صغيرة
- أحمد سليماني: قد طلعتْ شمس الغد
- عبد الستار ناصر: حماري وأنا